# واقعنا اللغوي ومنزلته في التخطيط اللغوي العربي (محاولة للتقويم)

د.دين العربي
جامعة مولاي الطاهر سعيدة - الجزائر

*Le phénomène leur tour sont dirigées par des considérations qui font parti de la langue elle-même, ou d'autre raisons produit par le degré croissance et le développement de toutes les nations. Et cet étourdissement linguistique s'est enraciné dans son histoire. Et par le temps une obsession de crainte sérieuse commençait à naitre surtout chez les prédicateurs de la langue arabe. Probablement ce qui a rendue le problème plus complexe c'est la modernité qui à toucher à tout les aspects de vie. Même la langue est devenue un statut associé au niveau de la propriété intellectuelle, économique, scientifique et culturel pour leurs enfants dans la mesure de créativité et de l'innovation et de technologie, quand la dépendance scientifique devient une ennemie mortelle de la langue. d'étourdissement linguistique contamine toutes les langues du monde dans des périodes imposé par certaines conditions.*

الضعف اللغوي ظاهرة تصيب جميع لغات العالم في فترات تختلقها ظروف معينة ، وهذه الظروف بدورها توجهها أسباب قد تكون من داخل اللغة ذاتها ، أو أسباب أخرى تصنعها درجات نمو الأمم وتطورها . والضعف اللغوي في العربية متجدر في تاريخها ، وقد تعاظم مع مرور الزمن إلى أن ولّد هاجس الخوف الذي صار يقلق الغيورين عليها ، ولعل الذي زاد المسألة تعقيدا هو تلك العصرنة التي مسّت جميع مناحي الحياة ، حتى غدت مكانة اللغة مرتبطة بالمستوى الفكري والاقتصادي والعلمي والحضاري لأبنائها ، ومدى قدرتهم على الخلق والابتكار ، ومدى اكتفائهم تكنولوجيا ، لأن التبعية العلمية وخمول الأمة أكبر عدوين للغة ، وهما سببان مباشران لموتها .

## 1 . مظاهر الضعف اللغوي في المجتمعات العربية :

تبدو مظاهر الضعف اللغوي على نخبة المجتمع خاصة ، إذ يفترض في هذه الفئة أنها تمثل اللغة المستقيمة ، على اعتبار أنها من المصادر الهامة التي ينهل منها المتعلمون وسائر فئات المجتمع ، والغريب في الأمر أن هذه المسألة أصبحت لا تثير أي استغراب ،بل إن أغلب هؤلاء يرون أنه لا حاجة لديهم إلى النطق باللغة السليمة ، ولا حاجة لديهم أيضا إلى معرفة قواعد اللغة العربية ، وأدلتهم على ذلك كثيرة ، منها أن التطور اللغوي سمة تلحق لغات العالم جميعها ، وأن الفصاحة مظهر من مظاهر البداوة وتخلف اللغات ، وهذه المظاهر بشكل عام تتمثل في :

### أ . الخلط بين التعابير الفصيحة والعامية :

تبدو مظاهر ضعف اللغة العربية في الوطن العربيفي جل المؤسسات الحكوميةوغيرها ،إذ يندر أن ترى متكلّماً يتحدّث بلسان عربي فصيح ، على الرغم من أن معظم المؤسسات فيها تتكون من حاملي الشهادات العليا ، لكنهم لا يتمكنون من كتابة أو نطق جملة سليمة ،بدون استشارة مختص في اللغة العربية ، وسبب ذلك هو أن بعضا من هؤلاء لم يتلقوا تكوينهم باللغة العربية فصيحة كما يجب ، وهذا الضعف لا يتوقّف عليهم فقط ، بل حتى الذين تلقوا تكوينهم باللغة العربية يعانون من عجز كبير في التحدث باللغة الفصيحة ، دليل ذلك الركاكة في مرافعات أغلب المحامين ، واختلاط الفصيح بالعامي في وسائل الإعلام، ومن مظاهر الخلط بين الفصحى والعامية أيضا تأثير اللهجات المحلية في

العربية الفصحى ، حتى أننا نجد بعض الكلمات اللهجية في خطب الأئمة ودروس المعلمين ونشرات الأخبار، ففي بعض مناطق الوسط الجزائري وشرقه ينطقون في العامية حرف ( الجيم ) في الكلمات مسبوقا بـ ( دال ) ساكنة ، فينطقون الفعل ( جاء ) ( دْجَا ) في العامية ، وبالتالي فإن أثر ( الدال ) في حرف ( الجيم ) يبدو جليا في هذه الجهات ، فيقولون للجبن ( دجبن ) ، وينطقون ( جزار ) ( دْجزار ) وهكذا ، وفي أقصى الجنوب يسمون ( الحذاء ) ( حزاء ) نتيجة صعوبة نطق حرف الذال ، ويقول : « حَزَّرْتُه » عوض ( حَذّرته ) ، ويقول غيرهم : « كَثُر زَعَلُه » ويقصدون به : « كَثُر غَضَبُه » ، وهذا ليس من العربية في شيء ، فهذا الاستعمال من اللهجة المصرية.

**ب. كثرة الأخطاء اللغوية :**

ومن نماذج الأخطاء اللغوية الإخلال بقواعد اللغة نحوا وصرفا وإملاء ، يقولون : « استبدلت الجلباب الممزق بجلباب جديد» ، وهذا خطأ ، لأن العرب تُدخل الباء على المتروك ، لا على المأخوذ ، وصحة الأسلوب أن يقولوا : « استبدلت الجلباب الجديد بالجلباب الممزق» ، قال تعالى في الآية 61 من سورة البقرة :[قَالَأَتَسْتَبْدِلُونَالَّذِيهُوَأَدْنَىٰ بِالَّذِيهُوَخَيْرٌ ]"[1]، "ويقولون : لا زال أخي مريضا ، والصواب : ما زال أخي مريضا ، لأنّ ( ما زال ) من أفعال الاستمرار الماضية التي تنفى بـ ( ما ) ، وليس بـ ( لا ) ، ونحن نقول : ما أكل فلان ، ولا نقول : لا أكل فلان ، إلا إذا كرّرنا ( لا ) ، وقلنا : لا أكل فلان ولا شرب ، وقد شذّ استعمال ( لا ) ، دون تكرارٍ في حالة واحدة ، هي حالة الرّجاء أو الدعاء ، كقولنا : لا زال مالُك وافرا ( دعاء ) ، لا برحت مجاهدا ( رجاء )"[2] .

**ج. كثرة الألفاظ الأعجمية :**

جرت العادة في المجتمعات العربية أن يلقى كل لفظ أعجمي استحسانا وتأييدا لدرجة الانبهار ، فيعيش في سلام في حضن العربية إلى حين ، وأمثلة ذلك كثيرة ، فكلمة ( كوادر ) المستحدثة عن الفرنسية (*cadres* ) لاقت استحسانا بين الناطقين بالضاد إلى حين ، على الرغم من وجود ( إطارات ) كبديل عربي لها ، بل قد سُمعت وقرئت في المحافل الرسمية بهذا الشكل دون حرج ولا نفور ، والحقيقة أن هناك عددا لا يستهان به من المفردات جرت على ألسنة الناس بهذا الشكل ، وهي لا ترقى إلى السلامة اللغوية ، ولا تمتلك أية صفة ولا ميزة تجعلها من العربية ، نحو : "ماتش" ، و"ريبورتاج" ، و"ماكيت"، "باسبور" ، و"فيزا" ، و"ترانزيت"، و"أوكازيون" ، وغيرها .

**د . الخطأ في نطق الكلمات :**

يخطئ كُثر في نطق بعض الكلمات ، نحو قولهم :"« أحبّ الزّعتر » ، والصّواب : « أحبّ السّعتر » ، أو « أحبّ الصّعتر »"[3] ، "ويقولون : « احتلّيت مركزا مرموقا » ، وصواب ذلك فك الإدغام لاتصاله بضمير"[4] ،كما "يقولون : « باع الفلاحون أغلالهم » والأغلال في العربية القيود ، لذا فالصواب في قولهم : « باع الفلاحون غلاتهم »"[5] .

**هـ – سوء الترجمة :**

لا تقتصر سلبيات الترجمة على ضياع لُبّ جل الأعمال المترجَم لها ، بل إن من سلبيات ذلك أيضا تسلل الأخطاء في اللغة ، فيعود ذلك على الفصحى بالضرر الكبير ، " يرى جورج مدبك أن كثيرا من التعابير دخلت لغتنا عن طريق الترجمة وهي ليست منها ، وعمّ استعمالها على الرغم من بعدها عن الصواب ، فقولهم : « أخذ حمّاما ساخنا » ما هو

إلا ترجمة حرفية لقولهم في الفرنسية : «*Il as pris un bain chaud*» ، وهذا ليس من العربية في شيء ، والصواب قولهم : « استحم بماء ساخن » ، وقولهم : « أخذ قطار الصباح » ليس من اللسان العربي ، فهو ترجمة جاهزة عن قولهم في الفرنسية : «*Il as pris le train du matin*» ، على أن الأصح قولهم : « ركب قطار الصباح "[6] ، ومنه أيضا قولهم : « انفجر ضحكا أو من الضحك » ، فهي ترجمة لقولهم في الفرنسية : « *Il as explosé de rire*» ، مع أنّ الصواب الاقتصار على الفعل ( ضحك ) .

**و . في المجال المكتوب[7] :**

– أبرز مظاهر الضعف اللغوي كتابة تبدو في رسم الهمزة ، إذ تكتب همزةُ الوصلهمزَةَ قطع، وهمزةُ القطع همزةَ وصل، كما تُرسم الهمزة المتوسّطة والمتطرّفة بأوضاع مخالفة للقواعد اللغوية – إهمال الشَّدَّة الّتي يعني إهمالُها إسقاطَ حرفٍ من الكلمة.

– إهمال نقط الذال المعجمَة لتصير دالاً .

–رسم التّاء بنقطتين فقط فتبدو تاء .

– إهمال نقط التاء المربوطةحتى ساوت الهاءَ في آخر الكلمة رسماً ونطقاً ،

– وكتابة التّاءُ المقفلَة مفتوحة والمفتوحة مقفلَة .

– كتابة الألف بعد كل واو ، في (أرجو ، يدعو ، يشكو ، ونحوها ).

– إهمال طريقة رسم الألف اللّيّنة في آخر الكلمة بين ممدودة أو مقصورة .

–إهمال السّلامة في الأسلوب، إذ تُركّب الجمل تركيباً يَنِمّ على التّكلُّف، فتغلب الرّكاكة ليصبح الكلام جافا قريبا إلى العامية .

– إهمال علامات الترّقيّم ، أو الجهل باستعمالها بالشكل المطلوب ، فتتداخل المعاني ، ويفسد التركيب ، ويتعب القارئ في الوصول إلى المطلوب .

**ز- في المجال المسموع [8] :**

– عدم النّطق الصّحيح للذّال والثّاء والظّاء، حيث تُنطق الذّال دالاً ، والثّاءُ تاء أو سيناً ، والظّاء ضاداً ، والطاء تاء، والضّاد دالاً.

– نطق همزة الوصل في درج الكلام همزة قطع ، فينطقون: الإستعمار ، الإقتصاد،الإستثمارات، ما إسمك ؟ ، هذا إبنك، بدلاً من النّطق الصّحيح: الإِستعمار، الإِقتصاد،الإِستثمارات، ما اسمُك ؟ ، هذا ابْنُك، بحذف همزة الوصل لفظاً في أثناء الكلام .

– الوقف على التّاء المقفَلة هاءً في نحو:فتاه ، وقناه ، وقُضاه ، وزكاه بدلا من : فتاة، قناة، قُضاة، زكاة .

–إلغاء نطق التّاء المقفَلة في درج الكلام، والاكتفاء بنطق الحرف الّذي قبلها ، نحو : قضت المحكمَ الدوليَّ المختصَّ في القضيَّ السوريَّ بـ ... ، بدلا من : قضت المحكمةُ الدوليةُّ المختصةُّ في القضيةِ السوريةِ بـ ... .

–نطق الأعداد والمعدودات باللّهجة العامّيّة الدّارجة في كلّ أنواع العدد، نحو : ثْناعشندينار ، ثْمانيَ وخمسين طالب ، وكل متكلم عربي ينطق بالطريقة الموافقة للهجته ثم يتبع العدد بمعدود فصيح ، ويُلاحظ ذلك كثيرا في الإعلام .

– إلغاء النطق بالإعراب من أواخر الكلمات ، ونطقها بالسّكون في درج الكلام .

– أداء الكلام المكتوب بالفصحى بطريقة اللّهجة العامّيّة .

– الخطأ في نطق الأعلام، نحو : عبد الأَّ ، وعيْشَ ، وسْليمان، وحُسِين، بدلا من عبد الله ، وعائشة ، وحُسَين .

– الخطأ في ضبط عَيْن الفعل الثّلاثي ماضيه ومضارعه وأمره، والجهل بالأبواب الصّرفيّة السّتّة للثّلاثيّ[9]، فيقولون في الماضي مثلا :ثَبُتَ بدلا من ثَبَت، وحَصُل بدلاً من حَصَل، وفَشَلَ بدلاً من فَشِل، وحَرِصَ بدلاً من حَرَص، وغَرَق بدلاً من غَرِق، وبَطُل مفعوله، بدلاً من بَطَل ، ويقولون في المضارع مثلا:يأمَل بدلاً من يأمُل، ويَحْرَص بدلاً من يَحْرِص، وفي الأمر : اكْسَبْ بدلاً من اكْسِبْ، لا تَلْمِسْ بدلاً من لا تَلْمَسْ، انْبُذِ العنف بدلاً انْبِذِ العنف،واعْمِلْ بدلا من اعْمَلْ ، وهكذا ...

–عدم انسجام طريقة الأداء الصّوتيّ مع مفهوم الكلام، فقد تسمع من المذيع أو المذيعة نَبْرَةً للصّوت تدلّ على انتهاء الكلام ، ليتبين من خلال السّياق بأنّ **الكلام** متّصل بما بعده ، أو تسمع نبرةً تدلّ على تواصل الكلام وامتداده، لتلاحظ بأنّ الكلام قد انتهى، وقد تسمع صيغة استفهام تؤدَّي بنبرة إخبار، أو صيغة إخبار تؤدَّي بنبرة استفهام، أو تسمع كلاماً يفيد الأسى والتّحسّر والألم يؤدَّي بصوت مرتفع فيه حماسة كبيرة .

–الجهل بمعاني الأدوات اللغويّة ووظائفها، بحيث لا يُراعَى فيها دقة التوظيف ،نحو عدم التفريقبين : "إذا" و"إن" الشّرطيّتين، و"لم" و"لمّا" الجازمتين، وحرفي الجواب "نعم" و"بلى"، و"لا"النافية للجنس ، و"لا"النّافية للوحدة،وكاستعمال أداة التوكيد في موضع لا يقتضي التوكيد .

يجد طلاب المدارس والجامعات مستوى اللغة العربية في تدهور مستمر ، ويخافون من الاختصاص في أي مجال بهذه اللغة ، على اعتبار أنها ليست لغة عالمية ، وأنهم إذا تحصلوا على منحة في الخارج أو إذا سنحت لهم فرصة الهجرة فإنهم سيجدون إشكالا لشق طريقهم في طلب العلم ، لذا فإنّهم يجدون اللغة العربية السليمة مهجورة ، والسبب في ذلك كله يعود إلى كون المشرفين على التخطيط في التربية والتعليم مازالوا يعتقدون أن اللغة العربية هي لغة الانفعالات والاندفاع الوجداني ، ويُلاحظ في هذا الصدد الاستمرار في الانحياز إلى العقلية التاريخية القديمة في التفكير.

## 2 . أسباب الضعف اللغوي في المجتمعات العربية :

ثمة جملة من الأسباب تؤدي مجتمِعةً إلى الضعف اللغوي عند المتكلمين باللسان العربي ، وهي الأسباب ذاتها التي تغذي عامل التخلف في المجتمعات بشكل عام ، ولعل عامل الغلبة – على رأي ابن خلدون – في جميع مناحي الحياة ، يجعل بعض اللغات تطغى على لغات أخرى ، فيقْوى الغالب باقتصاده وفكره ومخترعاته ولغته ، ويضعف المغلوب في هذه المجالات كلها ، حتى يؤدي ذلك إلى ضعف لغته ، فتبدو خالية من المقومات ، ضعيفة أثناء أدائها .

المتكلمون باللسان العربي يدركون أن العربية واقعة في بوتقة المغلوب ، وهم في أحيان كثيرة لا يحركون ساكنا من أجل تصحيح الوضع ، فيؤمنون كل الإيمان بأنهم ينتمون إلى أمة متخلفة ، ضاعت أمجادها ولغتها ، فيصبح من هذا المنطلق للعامل النفسي دور كبير في تفشي الضعف في اللغة العربية . يتخذ العامل النفسي شكلا آخر في هذه المسألة ، إذأن العربي أصبح يرى أن اللغة العربية صعبة في مفرداتها ، متعدّدة في مرادفاتها ، كثيرة القواعد النحوية ، مغلقة على

ذوي الاختصاص ، وفي نظرهم أن اللغة العربية ليست طيّعة ،ويستدلون لذلكباختلاف الآراء النحوية فيها، وأن الكتابة فيها من أعقد الأمور ، ويرون أن خصائصها الإملائية تزيد من تعقيداتها .

أصبح الناس في هذا العصر لا يفكرون في الحلول المناسبة للرفع من مستواهم في اللغة العربية ، لأن مشاكل الحياة بما فيها من تعقيدات زادت المسألة حدة ، فغلاء الأسعار واهتمام الناس بالسعي وراء قوتهم حرم الناس من أخذ ولو وقت يسير لارتياد المكتبات ، كما أن الحركة الكبيرة يوميا في المجتمعات العربية تُلاحظ في أسواق الخضر وغيرها ، ويندر أن يدخل أحد مكتبة لشراء كتاب ، اللهم إلا إذا كانت المسالة متعلقة ببحث أو مقال ، كما أن وسائل الإعلام أصبحت تساهم بقوة في الضعف اللغوي القائم ،إذ أصبحت لاتهتم كثيراً باللغة العربية ، ولا تضع في أهدافها العمل على الرفع من مكانتها .

وفي مجال التعليم فإن الهيئات الوصية لا تكلف نفسها عناء المحاولة الجادة للارتقاء باللغة العربية ، بل في أحيان كثيرة يظهر الأمر كأنه مقصود ، إذ يشتكي المعلمون من ركاكة مواد إصلاح نشاطات اللغة العربية في المؤسسات التعليمية ، على اعتبار أن من شاركوا في عملية الإصلاح هذه هم من غير المعلمين الذين لهم مراس طويل في مجال تعليم اللغة العربية . ومن جهة أخرى نرى الاهتمام بمبادئ اللغة العربية أثناء التدريس لا يُطلَب إلا من معلم اللغة العربية ، فإذا أخطأ معلم الفلسفة أو التاريخ تذرعوا له بعدم الاختصاص ، وهذه من أخطر سبل انتشار اللغة الركيكة وشيوع الخطأ ، وبالجملة يمكن حصر أسباب الضعف اللغوي في النقاط التالية :

– يشير كثير من اللغويين إلى وسائل الإعلام بإصبع الاتهام ، "لأنها تحرص على تصوير مدرّس اللغة العربية في صورة مُزْرِيةٍ بقصد الإضحاك"[10]، والتنكيت ،فتُنفِّرُ الناس منه، وتَحْمِلُ الشباب على الهروب من ملاقاة مثل هذاالمصير .

– تكدُّس التلاميذِ في فصول المدارس، ومدرَّجات الجامعات وقاعاتها ، مع عَدَمِ وُجُودِ البيئة الملائمة للدراسة ، والمناخ المناسب لطلب العلم ، وهذا ما يجعل الأمر سببًا مباشرافي ضعف المتكلمين باللغة العربية.

– تبدل القيم في مجتمعاتنا العربية ، ما يغذّي النفور من تعلم أو تكلم اللغة العربية ، بدعوى عدم قابليتها لمسايرة العصر ، وبدعوى أن المتكلمين بها يمثلون أبرز سمات الانحطاط والتدهور الحضاري .

– اتساع الهُوَّة بين مستوى العاميَّة الذي يتخاطب به الناس في حياتهم، والمستوى الفصيح الذي يُطْلَبُ للنهوض باللغة العربية .

– الحملات الشنيعة التي يقودها الاستعمار من أجل تثبيت لغته وكسر لغات الأمم الأخرى ، وقد تعرضت اللغة العربية في هذا الصدد إلى أبشع الهجمات عبر التاريخ

– التداخل اللغوي الذي يحدث بين العربية والعامية والأجنبية ، "ومما يذكر في هذا المضمار ويجري في هذا النسق ما يستعمله المتحدث باللغة العامية ، وتنساق على لسانه كأنها من العربية لتعوده عليها ، ولا يشعر بنشوزها أو غرابتها ، ففي الجزائر مثلا : هذه الكلمات التي توظف بكثرة في التحدث والتكلم : ( صفا ) ، ( نورمال ) ، ( كوافير ) ، ( سيشوار ) ، ( البلوزة ) ، وكلها ألفاظ فرنسية ، ومعناها : بخير ، عادي ، حلاق ، مجفف ، القميص"[11] ، وعدد كبير من الألفاظ التي أصبحت متداولة في العربية .

– هَوان اللغة على أبنائها ، وعدم رعايتهم لها ، وفقْدَانِ جِدِّيَّتِهِم في العمل على إحيائها.

– الأسباب المرضية كتأخر التطور اللغوي ، أو ضعف القدرة على الكلام ، أو ضعف السمع ، أو بعض الأمراض العقلية .

– كون اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلميّة ،وفي أغلب الجامعات العربية.

– كون اللغة السائدة في المراكز الصحيّة ، والفنادق والمطارات وغيرها هي اللغة الأجنبية مع أن غالبية الأطباء ، والعاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب.

– ضعف معلمي اللغة العربية ،إذ لا يلتزمون بالفصيح في أثناء تدريسهم ، ويستخدمون اللهجة المحليّة وذلك يعود لأسباب متعددة كعدم اهتمامهم بالعربية الفصيحة ، وعدم إلمامهم بقواعدها وأصولها .

– عدم وجود منهج دراسي مبني على أسس علمية .

– عدم وجود هيئات رسمية تتابع الأخطاء الجسيمة ، والمخالفات اللغوية ، والنحوية الواضحة في اللافتات الإشهارية ، واللوحات المعلّقة على واجهات المحلات التجارية ، ووجود بعض المسمّيات الدخيلة على لغتنا .

– الاحتفاء بالآداب الشعبية والأشعار العامية ، فترى الصحف تتسابق في خدمة هذا النوع من الأدب ونشره ،ما يجعل ذلك في غالب الأحيان على حساب اللغة العربية الفصحى .

– إهمال المعاجم العربية التي تتابع التطور اللغوي وتحصي كل جديد في اللغة .

– نقص جهود المجامع اللغوية ومنظمات تنسيق التعريب وغيرها من الهيئات المماثلة ، وعجزها في أحيان كثيرة على إيجاد الحلول الناجعة للنكسات التي تمس اللغة العربية الفصحى.

## 3 . بعض آثار الضعف اللغوي :

– يؤدي الضّعف اللغوي في اللّغة إلى عدم القدرة على تحقيق التّفاهم بين الناس ، ويُعطِّل وظيفتها في توحيد المفاهيم ، وتقريب وجهات النظر ، ويُوقِعُ اللبس والخلْطَ في المعاني، لذلك فإنّ اللّغة متى أصابها الضعف تحلَّلت من قيود القواعد فلا ضابطَ يعود يحكُمها، فتصبح خاضعة للعبث والفوضى والتّخبُّط في متاهات الجهل والهوى.

– الضّعف اللّغويّ مرتبط بالضّعف الفكريّ والثّقافيّ، فاللغة ليست مجرّدَ وسيلة للتّخاطب فقط، ولكنّها أيضاً ترجمانللفكر والعقيدة والثقافة .

– يؤدي الضّعف اللّغويّ إلى ذَوَبان الشّخصيّة تدريجيا ، وانقطاع الصّلة بالرّابطة الّتي تُوَحِّد الأمّة، إنّ الحفاظ على اللّغة سليمة قوية يعنيالحِفاظ على الأصالة والانتماء القوميّ .

– يترك الضّعفُ اللّغويّ العامّ فراغاً فكريّاً وثقافيّاً لدى الأمّة، ويجعلها تابعة لغيرها من الأمم المتقدمة ، مرتبطة بها كل الارتباط .

– يؤدي الضعف اللغوي إلى البعد عن تعاليم الدين ، إذ لا يمكن فهمه الفهم الصحيح إذا كانت اللغة ضعيفة غير متماسكة ، بل إنّ الضّعف في اللّغة العربيّة يدفع بعض النّاس إلى الزّيغ عن العقيدة، والانحراف عن منهج الدّين والتّعسّف والضّلال في الحكم على النّصوص الإسلاميّة .

## 4 . منزلة الواقع اللغوي في التخطيط اللغوي في العالم العربي :

التخطيط اللغوي ( *planification linguistique*) من فروع اللسانيات الاجتماعية ( *Sociolinguistics*) ينصب اهتمامه على دراسة التأثير والتأثر في علاقة اللغة بالمجتمع ، وفق المعايير الثقافية والتوقعات والبيئة وطريقة استخدام اللغة والآثار المترتبة على استخدامها في المجتمع ، ويهتم التخطيط اللغوي بمحاولة إيجاد الحلوللمشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت منبثقة عن اللغة ذاتها ، نحو : توليد المفردات وتحديثها وبناء المصطلحات وتوحيدها ، وغير ذلك من المسائل اللغوية ، أو المشكلات المنبثقة عن عوامل غير اللغوية ، يقول " هوغن –*E.Haugen*" : « أفهم بكلمة التخطيط ، النشاط الذي يقوم بتحضير إملاء وقواعد ومعاجم نموذجية لتوجيه الكتاب والمتكلمين في مجتمع لغوي غير متماسك ، وفي هذا التطبيق العملي للمعرفة الألسنية ، يتعدى عملنا إطار الألسنية الوصفية ليشمل مجالا يجب فيه ممارسة الأحكام في شكل اختيارات بين الأشكال اللغوية المتوافرة ، فالتخطيط يستتبع محاولة توجيه تطور اللغة في الاتجاه الذي يرغب فيه المخططون ، وهذا لا يعني التكهن بالمستقبل على ضوء أسس المعرفة المتوافرة بالنسبة إلى الماضي ، إنما يعني المسعى الواعي للتأثير عليه»[12] ، فالتخطيط اللغوي وفق هذا الإطار يعمل على توجيه المجتمع غير المتماسك لغويا ، وذلك بإعمال النظريات الألسنية على نحو يُدرس فيه الواقع اللغوي الذي يخضع في البداية إلى الوصف والتحليل ، قبل أن يخضع إلى التوجيه والمعالجة بالطريقة التي يشرف عليها المخططون .

ظهر علم التخطيط اللغوي في مطلع الخمسينات من هذا القرن ، جاعلا أول أهدافه العمل على إبراز دور اللغة في إعادة بناء الدول بعد استقلالها ، وقد "مثلت توجهات هذا العلم أعمال "فشمان" ، و"فيرجسون" و"داس جوبتا" عام 1968م ، تحت عنوان : ( المشكلات اللغوية في الدول النامية )"[13] ، ولعل أبرز اهتمامات التخطيط اللغوي كانت منصبة على المشكلات اللغوية التي تولدت عن محاولة الاستعمار القضاء على اللغة القومية للبلاد المستعمَرة ، لذا كان تركيز التخطيط اللغوي على العمل الجاد والمنظم بغرض إيجاد حلول مدروسة لتلك المشكلات اللغوية ، ويعدّ ظهور علم التخطيط اللغوي متزامنا مع تقدم العلوم الاجتماعية والاقتصادية ، إذ تأثر علماء التخطيط اللغوي بتلك العلوم وخصوصاً تلك التي تبحث سبل تطوير الدول النامية وإعادة بنائها في شتى المجالات ، الاقتصادية منها ، والاجتماعية ، والتربوية ، والثقافية ، والعلمية ، واللغوية وغيرها ، على أن الهدف الأول للتخطيط اللغوي هو حل المشكلات اللغوية وغير اللغوية التي تعترض الإنسان بوصفه فرداً مكونا للمجموعات البشرية ، والشعوب والدول بوصفها مجموعات بشرية تتفاعل مع بعضها

يهتم التخطيط اللغوي بداية بالتنقية اللغوية ، كما يهتم برسم السياسة اللغوية في المجتمع وتحديد وظائف اللغة وفق ما يصبو إليه المشرفون على هذه العملية ، ويرى "لويس جان كالفي – *l.j.calvet*" أن تُطلق "تسمية التخطيط اللغوي (*planification linguistique*) على التطبيق الفعلي لسياسة لغوية بعينها"[14] ، وربما يُقصد برسم السياسة اللغوية تدخل السياسيين والزعماء وقادة التوجهات القومية وسائر المشرفين على الأمور اللغوية في التأثير على الاستعمالات المتداولة في مجتمع ما ، وكذا تحديد الوظائف التي تؤديها تلك اللغة بما يخدم أهدافا معينة ، والشواهد التاريخية تشير دائما إلى أن اللغة كانت محل اهتمام الجماعات العرقية والحكام على حد سواء

منذ القديم ، إذ يعمل هؤلاء بشتى الطرق على جعل لغتهم ممثّلة لهوياتهم ووجودهم ، ويعمد الحكام إلى رسم حدود تلك اللغة بما يوافق توجهاتهم وسياساتهم ، وفيما يتعلق برسم السياسات اللغوية للغة العربية يعد أمر الخليفة "عثمان بن عفان" ( ت 35هـ ) عندما جمع القرآن الكريم في مصحف واحد وأحرق بقية المصاحف أول مثالٍ على رسم السياسة اللغوية ، وهو تدخل متعمّد ، اعتمد على التخطيط لحفظ اللغة العربية وتوحيدها من خلال توحيد النص القرآني

يتمثل التخطيط اللغوي أيضا في ذلك الصراع الذي تشهده اللغات فيما بينها ، "فالفرونكوفونيون مثلا يجتهدون لوضع سياسة لغوية تمكن لغتهم من كسب الريادة"[15]، وكذلك تجعل الدول العربية في دساتيرها أوائل المواد متعلقة باللغة ، مشيرة إلى أن أول لغة في البلاد هي اللغة العربية ، ومن الأمثلة الواضحة أيضا فيما يخص دول الوطن العربي ( تونس والجزائر والمغرب ) التي أعلنت عند استقلالها أن الإسلام هو دين الدولة ، وأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيها ، ومع ذلك وبعد مرور سنوات على الاستقلال كانت اللغة الفرنسية تُستعمل على نطاق واسع في المجتمع بل حتى في الإدارات والخطابات الرسمية ، وكانت الفرنسية في الواقع هي اللغة المسيطرة ، "ففي المملكة المغربية – على سبيل المثال – رفض البريد قبول برقيات مكتوبة باللغة العربية بُعَيْد الاستقلال ، وكانت أغلبية المكاتب الحكومية تصرّ في أحيان كثيرة على ملء نماذج البيانات ثنائية اللغة باللغة الفرنسية أولاً"[16] ، ومنذ ذلك الحين ، نشطت عملية التعريب للمكاتب الحكومية في المغرب العربي عموما ، وكان هذا السعي وجها من أوجه التخطيط اللغوي ، ولكن مازالت اللغة العربية في هذه الدول إلى هذا الوقت لم تصل إلى المرحلة المطلوبة في كافة المعاملات . ففي الجمهورية التونسية — مثلا – بعد مرور نصف قرن على الاستقلال تقريبا مازالت بعض الوزارات تستعمل اللغة الفرنسية لتوثيق أعمالها .

تهدف جهود المخططين اللغويين في هذا الشأن إلى تنقية اللغة من الغرائب والأخطاء والدخيل ، وكانت الحكومات العربية تشرف على هذه الجهود ، جاعلة في أغلب ربوع الوطن العربي أول سياساتها امتصاص هذه اللهجات واللغات القومية ، لتنضوي تحت اللغة العربية تجنبا لأية صراعات عرقية ، ويمكن أن تُمثَّل هذه الجهود في دور المجامع اللغوية في الوطن العربي ، فقد عملت هذه المجامع على الحفاظ على مكانة اللغة العربية ، وكان أبرزها مجمع اللّغة الأردني ، ومجمع اللّغة العربيّة بمصر ، والمجمع العلميّ بدمشق ، إضافة إلى بعض الجمعيّات والمجالس ،كالمجلس الأعلى لرعاية اللّغة العربيّة ، والجمعيّة المعجميّة التّونسية ، إلاّ أنّ أعرق هذه المجامع والمجالس كلّها ، مجمع اللّغة العربيّة القاهري ، والمجمع العلمي السّوري ، وكانت جهود هذه المجامع – بتزكية من حكوماتها – تعد أبرز أشكال التخطيط اللغوي ، إذ جعلت أول مساعيها تنقية اللغة العربية من الشوائب ، وعملت على إعادتها إلى مكانتها المطلوبة ،كما حاولت إيجاد السبل الكفيلة بضمان غلبة اللغة العربية في صراعها الدائر مع سائر اللغات واللهجات ، ومثلت مساعيها تلك المواد والقوانين التي أصدرتها من أجل الوصول إلى هذه الأهداف .

## 5 . مظاهر التخطيط اللغوي في المجتمعات العربية :

الحقيقة التي لا مناص منها هي أن التخطيط اللغوي لا يجد نصيبه من الاهتمام المطلوب لدى الحكومات العربية ، وجهودهم تبدو هزيلة مقارنة مع ما توفره الدول الغربية من وسائل وأموال بغية الحفاظ على اللغة القومية ، وأحسن مثال يمكن أن يضرب في هذا الصدد هو ما توفره الحكومة الألمانية من ميزانية تكاد تضاهي أو تفوق ميزانية الدفاع . وربما

يكون سبب تمكن هذه الأمم من بسط سيادة لغاتها هو القدرة على جعلها لغة للبحث ، وأما ما يخص اللغة العربية فهي لغة تتسع رقعتها الجغرافية على امتداد الأرض ، فلم تتمكن الحكومات من توحيد جهودها في هذه المسألة ، وهذا سبب آخر يعيق حركية اللغة العربية .

تفتقر المجتمعات العربية إلى سياسات لغوية محكمة بهدف القضاء على الضعف اللغوي في المؤسسات التعليمية على الأقل ، والجهود مشتتة وآنية ، إذ كثيرا ماتعقد المؤتمرات وتصرف الأموال الطائلة لمحاولة إيجاد الحلول المناسبة للنهوض باللغة العربية ، فلا تتعدى هذه الجهود أن تكون على شكل توصيات يحتفظ بها أرشيف الإدارة العربية ، ولا نكاد نجد دولة عربية واحدة ترسم سياسة واضحة للقضاء على الضعف اللغوي في بلادها ، على أن الجهود الفردية لعلماء اللغة يمكنها أن تكون مصدرا مهما في هذا الصدد ، فمشروع الذخيرة اللغوية الذي أسس له "عبد الرحمان حاج صالح" بإمكانه أن يشكل سندا قويا لوضع سياسة لغوية محكمة ، وأيضا مقترحات "صالح بلعيد" في هذا الصدد ، بدءا بـ "ما يجب أن يحمله الكتاب المدرسي باللغة العربية من مضامين لطفل القرن الواحد والعشرين"[17] ، إلى كتاباته المتفرقة في هذا الموضوع ، إضافة إلى جهود أخرى على شكل ندوات وملتقيات تعقد هنا وهناك في سائر البلاد العربية .

إن المتأمل في برامج التخطيط اللغوي يلاحظ أن مادة التخطيط اللغوي قائمة على توجهات وأفكار مثلت أصحابها ، وهي بشكل عام تتمثل في :

- فريق يرى أن مسألة النهوض باللغة العربية مسألة دينية وقومية ، وكل متخلف عن هذا التوجه فهو مرتد عن دينه ، ومنسلخ عن قوميته وعروبته .
- فريق يرى في الاهتمام باللغة العربية تخلفا وتحجرا ضد العلوم والمعرفة ، وأن اللغة العربية هي لغة الشعائر الدينية ، والشعر ، والفروسية .
- فريق لا يلتفت للمسألة ، إذ يقف موقف الحياد ، ويرى أن العلم لا يتمثل في أية لغة ، وأن أية لغة قادرة على تحمل التكنولوجيا فهي اللغة المناسبة وكفى .

إنّ مشروع النهوض بالعربية والتعريب هدف فردي ، كما أنه هدف قومي ، لذا ينبغي أن نجعله ضمن برامج وزارات التخطيط المنتشرة في العالم العربي ، وبذلك يصبح التخطيط اللغوي للعربية لا يقل أهمية عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والزراعي وغيره ، ويمكن أن تُضرب الأمثلة بالجهود التعبوية التي لا تقل عن الجهود العسكرية والاقتصادية في نشر استعمال اللغات بين مواطنيها ، فهناك وعي لغوي كبير في سائر أنحاء العالم لا يقل عن الوعي السياسي والاقتصادي ، وهذا هو السر في قوة الدول التي كانت ضعيفة في الماضي .

## 6 . محاولة للتقويم :

الشعور بالخطر على اللغة العربية في الوقت الراهن عام ، يدركه العام والخاص ، والكتابات في هذا الموضوع لن تتوقف ، والتنبه إلى مسألة الضعف اللغوي دأب كل غيور على هذه اللغة ، لذا تعقد الندوات وتكثر المحاضرات وتكتب المقالات والبحوث المفصلة ، ولكن ماذا بعد كل هذه الجهود ؟ ما الحلول الناجعة لصد خطر الضعف اللغوي ؟ وهل نكتفي بالإشارة إلى الداء والتفصيل في أسبابه ؟ المؤكد أن الإجابات المنتظرة عن هذه الأسئلة وغيرها سيكون بالطبع "لا"

، إذ لا يعقل تزين رفوف مكتباتنا بكتب الأخطاء اللغوية الشائعة ، كما أنه لا يعقل أيضا أن تبقى هذه الجهود العلمية النظرية حبيسة الأوراق ، ومن هنا وجب أخذ المسألة مأخذ الجد بتحقيق مطالب ملحة بإمكانها أن توقف زحف هذا الخطر الداهم يمكن أن تلخص في :

– الالتفاف حول مجلس عربي أعلى للغة العربية أو مجمع لغوي عربي موحد يضم خيرة اللغويين العرب للنظر في التقارير التي قد ترسلها المجامع اللغوية في البلاد العربية .

– استغلال الأموال الطائلة التي تصرف لهذا الغرض هنا وهناك بهدف جمعها في خزينة عربية تخصص بخدمة اللغة العربية لا غير .

– إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية لاستثمار النافع منها وإثرائه بهدف توحيد الجهود واعتماد منهج أمثل يعمل على خلق نوع من الود بين المتعلمين واللغة العربية .

– اعتماد مجلس إداري من أهل الاختصاص في اللغة العربية على مستوى الولايات يعمل على مراجعة الوثائق الإدارية المعربة ، كما ينظر في لا فتات المحلات وغيرها بهدف إعطاء صورة مشرفة للغة العربية .

– دعم مدارس تحفيظ القرآن الكريم في مرحلة ما قبل التمدرس من منطلق أن هذه التجربة أثبتت نجاحها في مراحل معينة ، إذ أكد أهل الاختصاص

أن المتعلم الذي تتلمذ على هذه المدارس قبل مرحلة الابتدائي اثبت تفوق ملكاته اللغوية إنتاجا واستقبالا مقارنة مع غيره من المتعلمين .

– العمل على إثراء الرصيد اللغوي للمتعلمين في سن مبكرة ، ويتم ذلك – إضافة إلى تحفيظ جزء هام من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة – بتحفيظ النصوص الأدبية التي تختار بعناية .

– التشديد على وسائل الإعلام في مسألة السلامة اللغوية ، على اعتبار أنها المصدر الأساس الذي منه تبث الأخطاء اللغوية .

إن مشكلة الضعف اللغوي لا ترجع إلى المدرسة أو البيت ، فالمسؤولية يتقاسمها الجميع ، بدءا بالحكومات التي لا تعطي الحلول صبغتها العلمية بالشكل المطلوب ، كما أنها لا تعتمد السياسة اللغوية الفاعلة في هذا الشأن ، المسؤولية إذن خطيرة إلى حد كبير ، ونحن نشاهد تفاقمها مع مرور الزمن ، ولا مناص من الإشارة بإصبع الاتهام إلى البيت والمدرسة والإعلام وواضعي المناهج والمقررات ودور النشر والتأليف والمؤسسات العلمية إذا أردنا أن نكفكف جراح هذه اللغة التي لم تتق سهما واحدا فقط ؛ ولكنه سهم وآخر وثالث ورابع .

**الهوامش :**

[1] . أحمد محمد عبد الدايم : أوهام المثقفين في أساليب العربية ، جمع وترتيب : عبد الحميد عبد المبدي أحمد ، دار الأمين ، العجوزة ، القاهرة ، ( مصر ) ، ط01 ، 1417هـ / 1996م ، ص16 .

[2] . محمد العدناني : معجم الأخطاء الشائعة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ( لبنان ) ، ط02 ، 1985م ، ص114 .

[3] – ينظر : إميل بديع يعقوب : معجم الخطأ و الصّواب في اللّغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ( لبنان ) ، ط2 ، 1986م ، ص310 .

[4] – ينظر : المرجع نفسه ، ص295 .

[5] – ينظر : المرجع نفسه ، ص335 .

[6] . جورج مدبك : صناعة الترجمة من الفرنسية إلى العربية ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، ( لبنان ) ، ( د ، ر ، ت ، ط ) ، ص12 .

[7] – ينظر : دين العربي : قضية التصويب اللغوي في العربية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ( الأردن ) ، ط01 ، 2015م ، ص168 .

[8] – ينظر : المرجع نفسه ، ص169 .

[9] : يقسّم الصرفيّون الفعل الثلاثي المجرد إلى ستة أبواب هي : – فَعَل يَفْعُل ، نحو : نصَر ينصُر – فَعَل يَفْعِل ، نحو : ضرَب يضرِب – فَعَل يَفْعَل ، نحو : فتَح يفتَح – فَعِل يَفْعَل ، نحو : فرِح يفرَح – فَعُل يَفْعُل ، نحو : كرُم يكرُم – فَعِل يَفْعِل ، نحو : حسِب يحسِب ، وقد نظروا في هذا التقسيم إلى عين الفعل في الماضي والمضارع . ( ينظر : محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، دار الثّقافة ، ( الجزائر ) ، ( د ، ر ، ت ، ط ) ، ص38 .

[10] . ينظر : محمد الصالح الصديق : العربية لغة العلم والحضارة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ( الجزائر ) ، ط01 ، 2009م ، ص248 .

[11] . المرجع نفسه ، ص50 .

[12] . ميشال زكريا : قضايا السنية تطبيقية – دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية – دار العلم للملايين ، بيروت ، ( لبنان ) ، ط01 ، يناير 1993م ، ص10 .

[13] . ينظر : المرجع نفسه ، ص14 .

[14] *- louis-jean calvet : la sociolinguistique collection : que sais-je ? presses universitaires ، de France ، puf ، paris ، ( france ) ، 1ed ، 1993 ، p92.*

[15] . *ibid*.

[16] . ينظر : عبد الله ركيبي : الفرانكوفونية مشرقا ومغربا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القبة ، ( الجزائر ) ، ط01 ، 2009م ، ص67 .

[17] – ينظر : صالح بلعيد : في النهوض باللغة العربية ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ( الجزائر ) ، ط01 ، 2008م ، ص131 .